من أخبار الزُّهّاد :

روى الحافظ ابن الجوزي عن الحسين بن جعفر الرازي عن يوسف بن الحسين قال : قيل لي أن ذا النون المصري[1] رحمه الله تعالى كان يعرف اسم الله الأعظم ، فدخلت مصر وخدمته سنة ، ثم قلت : يا أستاذي ، إني قد خدمتك وقد وجب حقّي عليك ، وقيل لي : إنك تعرف اسم الله الأعظم ، وقد عرفتني ولا تجد له موضعاً مثلي ، فأحبُّ أن تعلِّمني إيّاه .

فسكت عني ذو النون ولم يجبني ، وكأنه أومأ إليَّ أنه يخبرني ، قال : فتركني بعد ذلك ستة أشهر ، ثم أخرج لي من بيته طبقاً ومكبَّة مشدودة في منديل ، وكان ذو النون يسكن الجيزة (في مصر) ، فقال : تعرف فلاناً صديقنا من الفسطاط ؟ قلت : نعم ، قال : فأحبُّ أن تؤدِّي هذه إليه .

قال : فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق وأنا متفكر فيه ، مثل ذي النون يوجِّه إلى فلان بهدية ؟ تُرى أيُّ شيء هي ؟! فلم أصبر إلى أن بلغْتُ الجسر ، فحللتُ المنديل ، ورفعتُ المكبَّة ، فإذا فأرة قفزت من الطبق وفرَّت!!

قال : فاغتظت غيظاً شديداً ، وقلت : ذو النون يسخر مني ويوجِّه مع مثلي فأرة ، فرجعت على ذلك الغيظ ، فلما أن رآني عرف ما في وجهي ، فقال : يا أحمق ، إنما جرَّبناك ، ائتمنتُكَ على فأرة فخنتني ، أفأئتمنك على اسم الله الأعظم ؟! اخرج من عندي فلا أراك بعدها .

---

(١) ذو النون المصري : هو ثوبان بن إبراهيم المصري ، أبو الفيض ، أحد الزهَّاد والعبَّاد المشهورين ، له أقوال وكلمات مشهورة في التصوّف ، توفي عام (٢٤٥ هـ) ، وردت ترجمته في طبقات الأولياء : ٢١٨ ، وطبقات الصوفية : ١٥ ، والرسالة القشيرية : ٢/ ١٤ .